الخير في القرآن الكريم

نظرات في

الورود والمفهوم والمقاصد

الأستاذ الدكتور

عبدالرحمن محمد بوكيلي

ملخص البحث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذا البحث محاولة منهجية لرصد الخير وفعله في القرآن الكريم ورودا ومفهوما ومقاصد، وذلك بغرض إقامة الفهم الصحيح الأصيل، ومنه إقامة الممارسة الراشدة لفعل الخير والعمل الخيري. وقد اعتمد فيه منهج الدراسة المصطلحية المرشح لضبط المفاهيم المكونة لأي نسق، مما يحقق التَّبَيُّن الصحيح والبيان الحكيم.

فجاء مكونا من ثلاثة مباحث، خصص الأول لقراءة ورود الخير وفعله بمختلف الصيغ في القرآن الكريم، سجلت فيه جملة من المستفادات البليغة؛ من ذلك الحجم الكبير الذي احتله الخير في نسق المفاهيم القرآنية مما يدل علىٰ منزلته ويدعو إلىٰ الاهتمام به، كما وُقِف علىٰ التطور الدلالي الدقيق الذي طرأ علىٰ مفهوم الخير وفعله، وكيف بدأ القرآن الكريم بالمفهوم الحسي المادي المرتبط بالمال مما كان سائدا عند القوم، ثم ارتقىٰ إلىٰ الفهوم المعنوية الإيمانية والتربوية والاجتماعية النفيسة. ثم نبه المبحث علىٰ تفنن القرآن الكريم في التعبير عن العمل الخيري بعبارات بليغة متنوعة، من فعل الخير وعمل الخير وتقديم الخير والمسارعة في الخيرات...

أما المبحث الثاني فقد كان في مفهوم (فعل الخير). عُرّف فيه الخير بأنه: يرد وفق مفهومين اثنين:

الأول: المال وما ارتبط به من اليسر والغنىٰ والسعة.

الثاني: الإسلام وما دعا إليه من الإيمان والعمل الصالح. وبناء علىٰ ذلك فإن فعل الخير والعمل الخيري في القرآن الكريم يطلق علىٰ أمرين رئيسين: الأول: بذل المال وإنفاقه لتحقيق اليسر والسعة والغنىٰ والحد من الفقر والحاجة، وهو ما يعرف بالعمل الاجتماعي. الثاني: الدعوة إلىٰ الإسلام والإيمان وما شرعه الله تعالىٰ من العمل الصالح لما في ذلك من الرحمة بالعالمين في الدنيا والآخرة.

ثم كان المبحث الثالث في مقاصد العمل الخيري في القرآن الكريم. وذلك في مطلبين كبيرين. الأول للمقاصد الخاصة، والثاني للمقاصد العامة. فالمقاصد الخاصة ما تعلق منها بالفرد تطهيرا له وتأهيلا لاقتحام العقبة والفوز بنعيم الآخرة. أما المقاصد العامة فتمثلت في الرقي بالمجتمع نفسيًّا وتربويًّا وتخريج الأمة الشاهدة علىٰ الناس بالحق.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين وعلىٰ من تبعهم بإحسان وعمل صالح إلىٰ يوم الدين. وبعد،

فمعلوم أن فعل الخير من أعظم ما عني به القرآن الكريم، حتىٰ إن الناظر ليجزم أن هذا الدين العظيم مؤسس علىٰ إقامة الخير والدعوة إليه، وعلىٰ نفي أضداده من الشر والسوء والفتن. ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

وهذا العمل هو محاولة منهجية لرصد الخير وفعله في القرآن الكريم ورودا ومفهوما ومقاصد، وذلك بغرض إقامة الفهم الصحيح الأصيل، ومنه إقامة الممارسة الراشدة لفعل الخير.

ولا ريب أن الدواعي التي تكمن خلف هذه البحث متعددة، لكن يمكن إجمالها في اثنين كبيرين:

الأول: العناية البالغة من قبل القرآن الكريم بالخير وفعله، مما يستدعي اهتماما من قبل الأمة يناسب ذلك الاهتمام.

الثاني: الحاجة الواقعة اليوم إلىٰ بناء العمل الخيري علىٰ أسس متينة ومبادئ ربانية جليلة هادية. وكل ذلك لا سبيل إليه إلا بالنظر في الوحي المعصوم بدءًا بكلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لأجل ذلك كان المنهج المعتمد هو منهج الدراسة المصطلحية المؤسس علىٰ الإحصاء الدقيق لكل نصوص الخير في القرآن الكريم، ثم علىٰ التصنيف الحكيم للمادة مما يدل علىٰ طبيعة انتشار مصطلح الخير في القرآن الكريم وواقع الأنساق التي ورد فيها، ومختلف الصيغ التي ورد بها...مما يفسح المجال لخلاصات أولية بليغة الدلالة مفهوما وتطورا ومقاصد. ثم علىٰ الدراسة النصية لكل النصوص ثم المفهومية المستخلصة من مجموعها.

فجاء البحث مكونا من ثلاثة مباحث. خصص الأول لقراءة ورود الخير وفعله في القرآن الكريم، في ثلاثة مطالب: الأول في حجم الورود، والثاني: في التصنيف، أما الثالث فقد تناول واقع الورود بين (الخير) و(فعل الخير). أما المبحث الثاني فقد كان في مفهوم (فعل الخير) في القرآن الكريم. وتكون من مطلبين: الأول في اللغة، والثاني في الاصطلاح القرآني. ثم جاء المبحث الثالث في مقاصد العمل الخيري في القرآن الكريم. وذلك في مطلبين كبيرين. الأول للمقاصد الخاصة، والثاني للمقاصد العامة.

المبحث الأول

الخير في القرآن الكريم
نظرات في الورود

قبل تناول ما ذكره أصحاب المعاجم وتدارسوه من معاني الخير في اللغة تمهيدا للوقوف علىٰ مفهومه في القرآن الكريم؛ من المفيد منهجيا تخصيص هذا المبحث للنظر في طبيعة ورود لفظ الخير في القرآن الكريم من حيث صيغه وسياقاته المقالية والمقامية، مما له الأثر البليغ في الدلالة علىٰ معناه اللغوي، كما أن له الأثر الأبلغ في تبين مفهومه الاصطلاحي، مما ييسر بيان العمل الخيري الأصيل والوقوف علىٰ مقاصده الربانية من خلال القرآن الكريم.

المطلب الأول

حجم ورود (الخير) وصيغه في القرآن الكريم

الناظر في ألفاظ القرآن الكريم ذات البعد الاصطلاحي يلاحظ أنها، من حيث عدد ورودها، تصنف إلىٰ أربع مجموعات كبرىٰ: ما ذكر مرات دون العشر، وما ذكر بالعشرات، وما ورد بالمئات، وما حضر آلاف المرات.

المجموعة	أمثلة	عدد الورود من حيث الجذر	ملاحظات
ما ورد آلاف المرات	اسم الجلالة: **الله**	دون البسملة في أوائل السور: ٢٧٠٢ مع البسملة: ٢٨١٦	ما وجدت لفظا ينافسه في الحضور
ما ورد أكثر من مائة مرة	الإيمان	٨٧٩	الإيمان والعلم يتصدران هذه المجموعة
	العلم	٨٥٤	
	التقوىٰ	٢٥٨	
	الصدق	١٥٥	
	الرزق	١٢٣	
ما ورد عشرات المرات	الصلاة	٩٩	لعل هذه المجموعة هي الأضخم في القرآن الكريم من حيث عدد
	الإنفاق	٧٣	
	التزكية	٥٧	

	النفع	٥٠	مصطلحاتها، والصلاة تتصدرها.
	الخشية	٤٨	
	الجهاد	٤١	
ما ورد دون العشرة	الترتيل	٠٤	
	الشورىٰ	٠٣	

إن القرآن الكريم ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، فما من مصطلح أدرج فيه إلا لمقصد التمكين له تعبيرا وتفكيرا وتدبيرا، فإذا تكرر كان ذلك إمعانا في بيان أهميته، وحرصا علىٰ تنزليه وتمثل ما يحمله من الهدىٰ والنور.

فليس عبثا أن يحتل اسم الجلالة (**الله**) الصدارة، إذ غرض الدين ومقصده الأسمىٰ والأساس هو معرفة الله وعبادته جل جلاله. وورود الإيمان بذلكم الحجم منسجمًا تماما مع أهميته وعظمته. ولما كان العلم سبيل الإيمان الرئيس جاء منافسا له من حيث العدد. كما أن التقوىٰ ثمرة الإيمان والعلم، ولا يمكن للفرع أن يضاهي الأصل. وهكذا...

ومصطلحنا موضوع الدراسة (الخير) ينتمي إلىٰ المجموعة الثانية. فالمتتبع لمادة (الخاء والياء والراء) في القرآن الكريم يجدها حاضرة في كل مراحل التنزل بعدد مثير يصل إلىٰ مائة وثمانين مرة (١٨٠ مرة).

وذلك في ثلاثة أنواع كبرىٰ:

النوع الأول: (خير) الذي هو اسم تفضيل، وقد ورد أكثر من مائة مرة. من مثل قوله تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦]، وقوله سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل:٨٩]

النوع الثاني: ما تعلق بالاختيار، وقد ورد ثماني مرات. من مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٦٨]

النوع الثالث: ما ورد مصدرا أو اسما، وهو موضوع الدراسة.

فإذا استثنينا النوعين الأول والثالث، فإن حجم ورود الخير في القرآن الكريم يصل إلىٰ تسع وستين مرة (٦٩)، وذلك وفق الجدول الآتي:

الصيغة		عدد الورود	المجموع
المصدر	خَيْر	٤٦	٥٧	٦٩
	الخَيْر	١١	
الاسم	خيرات	١٠	١٢
	الأخيار	٠٢	

ولا يخفىٰ أن الحكمة من هذا الحجم بينة كالشمس في ضحاها. فالقرآن الكريم كتاب الخير كله عاجله وآجله، ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]؛ كما أن هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس كلِّ الناس، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]؛ ورسالتها هي فعل الخير والدعوة إليه، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

ومعلوم أن الغرض من كثرة ورود الخير مصدرا هو بيان علو شأنه وعِظم منزلته بغض النظر عن المكان والزمان والحال، في حين نُصَّ علىٰ الخيرات بصيغة التنكير لما في ذلك من الدعوة إلىٰ الحرص علىٰ فعلها والتنافس في القيام بها مما يحقق الخير والنفع، ويرقىٰ بأهلها إلىٰ مصاف الأخيار، وما أعزها من منزلة.

المطلب الثاني

تصنيف الورود حسب ترتيب النزول.

نزول القرآن الكريم جملة مطلب الذين كفروا وفق فهمهم القاصر. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان:٣٢]. لكن الحكمة الربانية البالغة الهادفة إلىٰ حسن تبَيُّن الآيات، والرشد في تنزيلها والعمل بها، اقتضت تَنَزُّلَه نجوما علىٰ مدىٰ زمني رحب.

لذلك كان العلم بترتيب النزول وتتابعه مفيدا في الوقوف علىٰ لحظة ميلاد المصطلح والظروف المؤطرة لذلك، كما يعين في الوقوف علىٰ التطور الدلالي له من وقت ظهوره إلىٰ فترة تمامه وكماله. وكل ذلك يتضمن علما عمليا آخر نفيسا يتمثل في معرفة منهج القرآن الكريم في إقامة مصطلحاته والتمكين لها فهما وسلوكا.

ولعل هذا ما حدا بأبي القاسم النيسابوري رحمه الله إلىٰ جعله من أشرف علوم القرآن، إذ يقول: "من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطا وانتهاء، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك..."(١)

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ١٢٩.

وهذا جدول ملخص لورود الخير في القرآن الكريم بحسب ترتيب النزول مع استثناء اسم التفضيل وما اشتق من الاختيار.

الصيغة	قوله جل جلاله	السورة والآية
الخير	مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ	القلم ١٢
خَيْر	وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا	المزمل ٢٠
الْخَيْر	وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ	العاديات ٨
الْخَيْر	مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ	ق ٢٥
الْخَيْر	فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ	ص ٣٢
الأَخْيَارِ	وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ	ص ٤٧
الْأَخْيَارِ	وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ	ص ٤٨
الْخَيْر	...وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ...	الأعراف ١٨٨
الخيرات	... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ...	فاطر ٣٢
خَيْر	فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ	القصص ٢٤
الْخِيَرَةُ	وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ	القصص ٦٨

الصيغة	قوله جل جلاله	السورة والآية
	وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ	
خَيْرٌ	وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا	الاسراء ٣٥
الخير	وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ	يونس ١٠
خَيْر	وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ...	يونس ١٠٧
خَيْر	... وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ...	هود ٣١
خَيْر	... أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ	هود ٨٤
خَيْر	وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	الأنعام ١٧
خَيْر	يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا	الأنعام ١٥٨
الخير	لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ	فصلت ٤٩
خير	وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ	النحل ٣٠
خير	وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ	النحل ٧٦
الْخَيْرَاتِ	وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ	الأنبياء ٧٣

الصيغة	قوله جل جلاله	السورة والآية
	وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ	
الْخَيْرَاتِ	فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ	الأنبياء ٩٠
الْخَيْرَاتِ	أَيَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ، نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ	المؤمنون٥٥. ٥٦
الْخَيْرَاتِ	أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ	المؤمنون ٦١
خَيْرٌ	أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ	المؤمنون ٧٢
الْخَيْرُ	وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا	المعارج ٢١
خير	مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ...	البقرة ١٠٥
خَيْر	... وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	البقرة ١١٠
الْخَيْرَاتِ	وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ	البقرة ١٤٨
خَيْر	كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُتَّقِينَ	البقرة ١٨٠
خَيْر	... فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ	البقرة ١٨٤
خَيْرِ	وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ	البقرة ١٩٧
خَيْر	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ	البقرة ٢١٥

الصيغة	قوله جل جلاله	السورة والآية
	وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ	
خَيْرٌ	يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَاب	البقرة ٢٦٩
خَيْرٍ	لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ	البقرة ٢٧٢
خَيْرٍ	لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ	البقرة ٢٧٣
خَيْرٌ	وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ	الانفال ٢٣
خَيْرٍ	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	الانفال ٧٠
الْخَيْرُ	قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	آل عمران ٢٦
خير	يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا	آل عمران ٣٠
الخير	وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	آل عمران ١٠٤

الصيغة	قوله جل جلاله	السورة والآية
الْخَيْرَاتِ	يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ	آل عمران ١١٤
خَيْرٍ	وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ	آل عمران ١١٥
الْخَيْرِ	فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَىٰ الْخَيْرِ	الأحزاب ١٩
خَيْرًا	وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا	الأحزاب ٢٥
خَيْرٌ	وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا	النساء ١٩
خَيْرَ	لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ	النساء ١١٤
خَيْرٍ	وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَىٰ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا	النساء ١٢٧
خَيْرٌ	وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا	النساء ١٢٨
خَيْرًا	إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا	النساء ١٤٩
خَيْرًا	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ	الزلزلة ٧. ٨
خَيْرَاتٌ	فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ	الرحمن ٧٠

الصيغة	قوله جل جلاله	السورة والآية
خَيْرٌ	إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ	النور ١١
خَيْرٌ	لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ	النور ١٢
خَيْرٌ	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	النور ٢٧
خَيْرٌ	وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا	النور ٣٣
خَيْرٌ	وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	النور ٦٠
خَيْرٌ	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَانَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالآخرةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ	الحج ١١
خَيْرٌ	ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ	الحج ٣٠
خَيْرٌ	وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ...	الحج ٣٦
الْخَيْرَ	يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	الحج ٧٧
خَيْرٌ	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	المجادلة ١٢
خَيْرٌ	فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	التغابن ١٦

الصيغة	قوله جل جلاله	السورة والآية
خَيْرٌ	يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ.	الصف ١١
خَيْرٌ	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ	الجمعة ٩
الْخَيْرَاتِ	لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...	المائدة ٤٨
الْخَيْرَاتُ	لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	التوبة ٨٨

ويمكن ها هنا تسجيل جملة من الملاحظات المجلية للطبيعة الدلالية للفظ الخير ومنزلة ما يحمله من المفاهيم والقضايا.

۞ الملاحظة الأولى:

لم تخل مرحلة من مراحل التنزل من ذكر الخير، فإننا نجده حاضرا في وقت مبكر جدا، إذ ورد في سورة القلم التي تعد الثانية بعد سورة العلق، ثم تتابع استعماله مرات عديدة في القرآن المكي[١]، لترتفع الوتيرة في القرآن المدني[٢]، وظل حاضرا إلىٰ سورة التوبة.

(١) ورد ٢٨ مرة

(٢) ورد ٤١ مرة

ولعل أهم ما يدل عليه هذا الحضور هو الحاجة الماسة إلىٰ تنشئة المؤمنين أفرادا وأمة علىٰ معاني الخير، ومفاهيم الخيرية، وتمرينهم المتدرج علىٰ فعل الخير والنهوض بمشعل النفع والرحمة للعالمين.

۞ الملاحظة الثانية:

الناظر في أول ما نزل من الخير، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٠-١٣].

يمكن أن يسجل نتائج في غاية الأهمية، وعلىٰ رأسها:

الأولىٰ: إن منع الخير والصد عنه وتعطيل سبله لمن صفات أولئك الكفرة الجفاة الغلاظ، الذين سُلبوا الرحمة وحرموا النعمة. وهو الأمر الذي نصت عليه آيات كثيرة وأحاديث صحيحة عديدة. من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:١-٣]، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ**»(١)

الثانية: الذي غلب علىٰ الخير المذكور أول الأمر هو المعنىٰ الحسي المادي الذي تعرفه العرب حينها، المتمثل في المال والمنافع المادية. لذلك ذهب كثيرٌ من المفسرين إلىٰ أن المراد أساسا بالخير في قوله تعالىٰ: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم:١٢] هو المال. قال الطبري رحمه الله: "وقوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾. يقول تعالىٰ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته؛ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلىٰ الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

ذكره: بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق."[1]، وقال الواحدي: "بخيل بالمال عن الحقوق"[2]، وقال الزمخشري: "والخير: المال"[3]، وقال ابن جزي: "أي: شحيح، لأن الخير هنا هو المال."[4]

وبرز هذا المعنىٰ أقوىٰ فيما نزل بُعَيْد سورة القلم، في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾، إذ الخير هنا المال بلا خلاف بين المفسرين. وفي مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص:٣٢]، والخير في الآية هو الخيل.[5]

لكن مع تقدم التنزيل، نلاحظ اتساع مفهوم الخير ليبلغ الأوج في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران:١٠٤]، أي إلىٰ الإسلام وشرائعه. وهكذا ينقل القرآن الكريم المتلقي من المادة والحس إلىٰ آفاق ما أرحبها. هذا علىٰ مستوىٰ الدنيا، وما وقف الخير ها هنا، وإنما ختم القرآن الكريم مسيرة تنزل (الخير) بالنص علىٰ ما أعده الله تعالىٰ لعباده الأخيار من البركات العاجلة والآجلة، والمنافع الدنيوية والأخروية، فقال سبحانه: ﴿لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة:٨٨]

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن ج ٢٣ ص ٥٣٥

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج١ص١١٢١

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج٤ص٩٢

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ج٢ص٣٩٩

(٥) في مبحث التعريف سنورد بحول الله الكثير من النقول عن المفسرين الدالة علىٰ هذا المعنىٰ

❁ الملاحظة الثالثة:

الناظر في نصوص الخير يجد وروده في تضاد مع ألفاظ خمسة، وهي: الشر والضر والسوء والظلم والفتنة.

وذلك وفق ما هو مسطر في الجدول الآتي:

علاقة تضاد	عدد الورود	مواطن الورود
الخير/ الشر	٠٥	يونس ١٠، فصلت ٤٩، المعارج ٢١، الزلزلة ٧. ٨، النور ١١.
الخير/ السوء	٠٢	الأعراف ١٨٨، آل عمران ٣٠
الخَيْر/ الضر	٠٢	يونس ١٠٧، الأنعام ١٧
الخير/ الظلم	٠١	فاطر ٣٢
الخَيْرُ/ الفتنة	٠١	الحج ١١

وعليه فلا خير مع الشر، ولا مع الإساءة، ولا مع الضّرّ، وهو أبعد ما يكون عن الظلم والفتنة. فحيثما وُجد الخير، وحيثما انخرط الناس في فعل الخير والدعوة إليه، إلا ورُفعت الشرور والمساوئ والأضرار.

ولعل غلبة ورود الخير مناقض للشر في القرآن الكريم هو ما جعل المعجميين يعرفونه بذلك؛ كما سيتبين في المبحث الموالي بعون الله تعالىٰ.

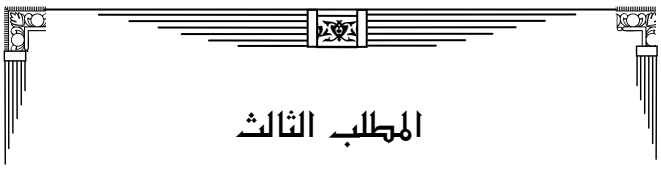

المطلب الثالث

بين (الخير) و (فعل الخير)

تنوعت الصيغ القرآنية المرتبطة بالخير المعبرة عن فعله مما يدل علىٰ الدائرة الرحبة التي يشملها العمل الخيري. وقد كثر التعبير عن ذلك بفعل الخير وعمل الخير، ثم إنفاق الخير، ليلي ذلك من حيث العدد المسابقة والمسارعة في الخيرات، ثم تقديم الخير واكتسابه والاستكثار منه والدعوة إليه. مما يوجه إلىٰ حرص المؤمن علىٰ العمل الخيري وفعله واكتسابه وتقديمه والدعوة إليه. ففي ذلك تفنن بديع في محبة الخير وتمثله والحرص عليه وأدائه.

وهذا جدول جامع لما ذكر:

الصيغة	عدد ورودها	مواطن ورودها
فعل وعمل الخيرات	٧	الأنبياء ٧٣- البقرة ١٩٧ - آل عمران ١١٥ - النساء ١٢٧ - الحج ٥٨ - آل عمران ٣٠- الزلزلة ٧
المسارعة/ المسابقة في الخيرات	٦	الأنبياء ٩٠- المؤمنون ٦١- آل عمران ١١٤ - فاطر ٩٢- البقرة ١٤٨ - المائدة ٤٨
إنفاق الخير	٤	البقرة ٢١٥- ٢٧٢- ٢٧٣- التغابن ١٦

الصيغة	عدد ورودها	مواطن ورودها
تقديم الخير	٢	المزمل ٢٠- البقرة ١١٠
الاستكثار من الخير	١	فاطر ٣٢
اكتساب الخير	١	الأنعام ١٥٨
الدعوة إلىٰ الخير	١	آل عمران ١٠٤
مجموع الصيغ	٢٢	١٢ سورة

هذا من حيث التعابير الدائرة علىٰ لفظ الخير، أما إذا تتبعنا مواطن ورود (فعل الخير) في القرآن الكريم، من حيث المفهوم، فإن ذلك يتسع ليستوعب دائرة أرحب من سور القرآن الكريم وآياته. فما من عمل رغب الله فيه ودعا إليه إلا وهو من صميم الخير. ولا يخفىٰ أن الرحمة بالخلق والإحسان إلىٰ الناس والشفقة عليهم، والسعي في تفريج الكربات وقضاء الحاجات، كل ذلك مما أخذ في كتاب الله تعالىٰ مساحة رحبة وحجما أوفر[1].

(١) في المبحثين الآتيين تفصيل دقيق بهذا الخصوص

المبحث الثاني

مفهوم (فعل الخير) في القرآن الكريم

وفيه مطلبان

- **المطلب الأول: الخير في اللغة.**

- **المطلب الثاني: مفهوم (فعل الخير) في القرآن الكريم.**

المطلب الأول

الخير في اللغة

تفنن المعجميون في بيان المعاني التي يرد بها الخير في اللغة، ومن أبرز ما سطروه ما يلي:

النص علىٰ أن **الخير ضد الشر**. قال ابن فارس: "فَالْخَيْرُ خِلَافُ الشَّرِّ."[١]، وقال ابن منظور: "الْخَيْرُ ضِدُّ الشَّرِّ، وَجَمْعُهُ خُيُورٌ."[٢]، وفي المصباح المنير للفيومي: "وَالْخَيْرُ خِلَافُ الشَّرِّ وَجَمْعُهُ خُيُورٌ وَخِيَارٌ"[٣]. ولعل السر في التنبيه علىٰ هذا عند المعجميين يكمن في كثرة ورود التضاد بين الخير والشر في القرآن الكريم، كما سبق الذكر[٤].

والشر في اللغة مأخوذ من الشَّرَر وهو: "ما تطاير من النار"[٥]، وفي ذلكم معنيان بارزان: الأول: الانتشار والتطاير والكثرة[٦]، والثاني: الحرق والإذابة.

وعليه، فلا يخفىٰ أن الخير يقتضي انتفاء الشر إلا أنه لا يقتصر عليه. فلذلك

---

(١) مقاييس اللغة مادة (خير)

(٢) لسان العرب مادة (خير)

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير مادة (خير)

(٤) أنظر (يونس ١٠، فصلت ٤٩، المعارج ٢١، الزلزلة ٧. ٨، النور ١١.)

(٥) مقاييس اللغة مادة (شر)

(٦) أنظر مقاييس اللغة ولسان العرب مادة (شر)

وردت في المعاجم معانٍ أخرىٰ نفيسة، من ذلك:

الخير الكرم والجود. قال ابن فارس: "وَالْخِيرُ الْكَرَمُ"[١]، وقال الفيومي: "الْخِيرُ بِالْكَسْرِ الْكَرَمُ وَالْجُودُ وَالنِّسْبَةُ إلَيْهِ خِيرِيٌّ عَلَىٰ لَفْظِهِ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَنْثُورِ خِيرِيٌّ لَكِنَّهُ غَلَبَ عَلَىٰ الْأَصْفَرِ مِنْهُ لِأَنَّهُ الَّذِي يُخْرِجُ دُهْنَهُ وَيَدْخُلُ فِي الْأَدْوِيَةِ وَفُلَانٌ ذُو خِيرٍ أَيْ ذُو كَرَمٍ وَيُقَالُ لِلْخُزَامَىٰ خِيرِيٌّ الْبِرِّ لِأَنَّهُ أَذْكَىٰ نَبَاتِ الْبَادِيَةِ رِيحًا."[٢]، ومنه ما ذكره ابن منظور: "الْخَيْرَةُ مِنَ النِّسَاءِ الْكَرِيمَةُ النَّسَبِ الشَّرِيفَةُ الْحَسَبِ الْحَسَنَةُ الْوَجْهِ الْحَسَنَةُ الْخُلُقِ الْكَثِيرَةُ الْمَالِ."[٣]

والواقع أن الخير أوسع مما ذكر، فلذلك حرص ابن فارس -رحمه الله- علىٰ ضبط المعنىٰ الأصلي الذي ترجع إليه كل استعمالات مادة (خير) في اللغة فقال: "**الْخَاءُ وَالْيَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلُهُ الْعَطْفُ وَالْمَيْلُ**"[٤]، وبين ذلك المصطفوي منبها علىٰ سر ما ذكر من العطف والميل، قائلا: " والتحقيق أن الأصل الواحد في هذه المادة هو انتخاب شيء واصطفاؤه وتفضيله علىٰ غيره. ففيه قيدان الانتخاب والاختيار والتفضيل، وهذان القيدان ملحوظان في جميع صيغ اشتقاقها."[٥]

وعليه فالخير في اللغة ما تميل إليه النفس وتختاره الطباع لما فيه من المنافع العاجلة أو الآجلة.

---

(١) مقاييس اللغة مادة (خير)

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير مادة (خير)

(٣) لسان العرب مادة (خير)

(٤) مقاييس اللغة مادة (خير)

(٥) التحقيق في كلمات القرآن مادة (خير)

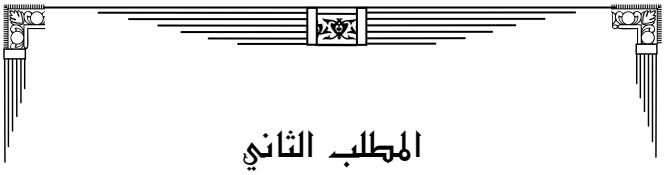

المطلب الثاني

مفهوم (فعل الخير) في القرآن الكريم

۞ تحديد التعريف:

اعتبارا لمعنىٰ الخير في اللغة، واستحضارا لاستعمالات مادة (الخير) في القرآن الكريم يمكن القول:

يرد الخير في القرآن الكريم وفق مفهومين اثنين:

الأول: المال وما ارتبط به من اليسر والغنىٰ والسعة.

الثاني: الإسلام وما دعا إليه من الإيمان والعمل الصالح.

بناء عليه اتضح أن فعل الخير والعمل الخيري في القرآن الكريم يطلق علىٰ أمرين رئيسين:

الأول: بذل المال وإنفاقه لتحقيق اليسر والسعة والغنىٰ والحد من الفقر والحاجة، وهو ما يعرف بالعمل الاجتماعي.

الثاني: الدعوة إلىٰ الإسلام والإيمان وما شرعه الله تعالىٰ من العمل الصالح لما في ذلك من الرحمة بالعالمين في الدنيا والآخرة.

۞ بيان عناصر التعريف:

○ العنصر الأول المتعلق بالمال.

النصوص الدالة عليه متعددة وصريحة؛ نذكر منها:

قوله تعالىٰ: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم:١٢]. فمن المعاني الظاهرة للخير هاهنا المال، لذلك نص عليه كثيرٌ من المفسرين واكتفوا به، وأضاف بعضهم الصد عن الإسلام. قال الطبري: "يقول تعالىٰ ذكره: بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق"(١).

وقال الثعلبي: "قال ابن عباس: يعني للإسلام يمنع ولده وعشيرته من الإسلام، ويقول: لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدًا. وقال الآخرون: يعني بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق."(٢).

وقال ابن سعدي: "﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة، والكفارات والزكوات وغير ذلك"(٣).

ومثل الآية السابقة بل أقوىٰ في الدلالة، قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾. فالخير هنا المال بلا نزاع بين المفسرين.

ومن النصوص الدالة علىٰ هذا العنصر قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزَّمل:٢٠].

---

(١) جامع البيان ج٢٣ ص٥٣٥

(٢) الكشف والبيان في تفسير القرآن ج١٠ ص١٢

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج١ ص٨٧٩

قال الطبري: "وما تقدّموا أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حجّ، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله، تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم، هو خيرا لكم مما قدّمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابا : أي ثوابه أعظم من ذلك الذي قدّمتموه لو لم تكونوا قدّمتموه."(١)

ومن ذلك الآيات التي ارتبط فيها الخير بالنفقة، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٥]،

وقوله سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٢]

ومما ارتبط بالمال والخير السعة والغنىٰ. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ [هود:٨٤]، فخلاصة ما ذكره المفسرون في الآية: اليسر وخيرات الدنيا. قال مقاتل: "يعنىٰ: موسرين في نعمة."(٢)

وقال الصنعاني: "يعني: خير الدنيا وزينتها"(٣)،

وقال الطبري: "وإنما قال ذلك شعيب، لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم

(١) جامع البيان ج٢٣ص٧٠٠

(٢) تفسير مقاتل ج٢ص٢٩٤

(٣) تفسير الصنعاني ج٢ص١٩٦

ورخص من أسعارهم كثيرة أموالهم."[1]

○العنصر الثاني المتعلق بالإيمان والعمل الصالح

وقد ظهر هذا المعنىٰ بجلاء وهيمن في آيات كثيرة من كتاب الله تعالىٰ مما يدل علىٰ علو شأن، وعلىٰ أنه الخير الحقيقي الذي لا يخالطه شر ولا يعكر صفوه سوء.

من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨]. فواضح أن الخير في الآية الكريمة ما ينتج عن الإيمان من الطاعة والاستقامة. قال ابن جزي: "والخير هو الأعمال الصّالحة والطّاعات."[2]

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]. قال الطبري: "إن الذين سميناهم يعني زكريا وزوجه ويحيىٰ كانوا يسارعون في الخيرات، في طاعتنا، والعمل بما يقرّبهم إلينا"[3]، وقال أبو زهرة: "والخيرات، الأعمال النافعة التي قصد بها وجه الله والعبادة الخالصة له سبحانه."[4]

---

(١) جامع البيان ج١٥ص٤٤٥

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ج١ص٢٨٢

(٣) جامع البيان ج١٨ص٥٢١

(٤) زهرة التفاسير ج٩ ص٤٩١١

ولعل من أشهر الآيات الدالة علىٰ سعة فعل الخير المأمور به من قبل القرآن الكريم آيتين:

الأولىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]. فتضمن فعل الخير جميع القربات من تعظيم الخالق والرحمة بالخلق. قال ابن الفرس: "ندب إلىٰ فعل المعروف جملة من غير تخصيص شيء"(١)؛ وفصل في ذلك الرازي رحمه الله قائلا: "قوله تعالىٰ: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ [الحج:٧٧]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- يريد به صلة الرحم ومكارم الأخلاق. والوجه عندي في هذا الترتيب أن الصلاة نوع من أنواع العبادة، والعبادة نوع من أنواع فعل الخير، لأن فعل الخير ينقسم إلىٰ خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لأمر الله، وإلىٰ الإحسان الذي هو عبارة عن الشفقة علىٰ خلق الله. ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة علىٰ الفقراء وحسن القول للناس فكأنه -سبحانه- قال كلفتكم بالصلاة بل كلفتكم بما هو أعم منها وهو العبادة بل كلفتكم بما هو أعم من العبادة وهو فعل الخيرات."(٢)

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]. فقد جمع الدين كله بما يحمله من الهدىٰ والنور والرحمة في كلمة واحدة هي الخير وما فيه من الصلاح الديني والدنيوي. قال الطبري: "يعني إلىٰ الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده."(٣)،

(١) أحكام القرآن

(٢) مفاتيح الغيب ج٢٣ص٢٥٤

(٣) جامع البيان ج٧ص٩٠

وقال ابن سعدي: "﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران:١٠٤] وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلىٰ الله ويبعد من سخطه."(١)

خلاصة القول في هذا المطلب: أن للعمل الخيري بعدين عظيمين:

الأول: متعلق بالرحمة بالخلق وكشف ما بهم من الشر والضرر والفتنة والفاقة، والاجتهاد في تحقيق الطمأنينة والسعة واليسر.

الثاني: متعلق بتعظيم الخالق سبحانه، والاجتهاد في إعلاء كلمته ونشر رحمته في العالمين.

ولا يخفىٰ أن البعد الثاني هو أساس الخير، فإنه لا رحمة للخلق مجردة عن أي غرض دنيوي، إلا بتعظيم الخالق جل جلاله. ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:٨-١١]

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج١ ص٥٢

المبحث الثالث

مقاصد (العمل الخيري) في القرآن الكريم

لا يخفىٰ علىٰ ذي بصيرة أن "وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا."[1] قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد:٢٥]. قال ابن القيم رحمه الله: "فإن الله أرسل رسله، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض. فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريق كان، فثَمّ شرع الله ودينه ورضاه وأمره."[2].

والناظر في نصوص الخير في القرآن الكريم من حيث كثرتها وتنوعها مقالا ومقاما، يدرك أن مقاصد الدين عامة، ومقاصد القرآن الكريم خاصة، تجتمع في عبارة واحدة جامعة مانعة ماتعة هي **تحقيق الخير العاجل والآجل**. لذلك كان أمر الله تعالىٰ **بفعل الخير** أمرا تجتمع فيه الغاية ويتحقق به المقصود. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]. فإنه لا يخفىٰ أن ما ذكر داخل في فعل الخير، وكأن الآية الكريمة

(١) الموافقات للشاطبي ج ٢ ص ٤.

(٢) اعلام الموقعين ج ٤ ص ٣٧٣.

بدأت بعمل خاص هو الصلاة ثم عطفت بما هو أعم منها الذي هو العبادة ثم ختمت بما هو أعم مما ذكر ومما لم يذكر الذي هو فعل الخير. وقد نبه علىٰ ذلك الرازي -رحمه الله- قائلا: "والوجه عندي في هذا الترتيب أن الصلاة نوع من أنواع العبادة والعبادة نوع من أنواع فعل الخير، لأن فعل الخير ينقسم إلىٰ خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لأمر الله، وإلىٰ الإحسان الذي هو عبارة عن الشفقة علىٰ خلق الله؛ ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة علىٰ الفقراء وحسن القول للناس. فكأنه سبحانه قال: كلفتكم بالصلاة، بل كلفتكم بما هو أعم منها وهو العبادة، بل كلفتكم بما هو أعم من العبادة وهو فعل الخيرات."[1]

وعليه كان هذا المقصد الأعظم الجامع للعمل الخيري ذا بعدين جليين: الأول خاص، والثاني عام. فالخاص ما تعلق بالفرد، والعام ما تعلق بالمجتمع كله. وهو ما يتناوله المطلبان اللاحقان بعون الله جل جلاله.

(١) مفاتيح الغيب ج٢٣ ص٢٥٤

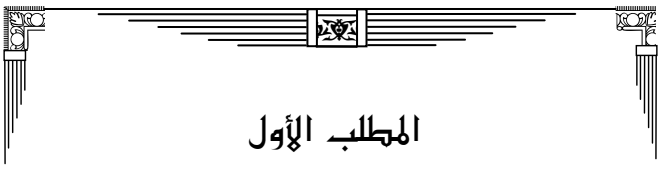

المطلب الأول

المقاصد الخاصة

وإن كان الظاهر أن المستفيد الأساس من فعل الخير هو المحتاج، إلا أن الحقيقة القرآنية الساطعة تنص علىٰ أن المنتفع الأكبر من هذا العمل المبارك هو فاعل الخير المجتهد في نفع الغير.

ففعل الخير بمعناه العام يتجه إلىٰ تمثل الخير الذي نزله الله تعالىٰ والتمكين له في النفس والسلوك، ثم العمل علىٰ إشاعته والدعوة إليه، أما بمعناه الخاص فهو العمل علىٰ تفريج الكرب وإزالة الفاقة والتغلب علىٰ نوائب الدهر. وفي كليهما ينال فاعل الخير النصيب الأوفر والحظ الأزهر من الخيرات في الدنيا والآخرة.

وعليه، فلفعل الخير والعمل الخيري آثار بليغة في الفرد المؤمن نفسيًّا وسلوكيًّا مما يمكن ترتيب القول بخصوصه في العناصر الآتية مما استخلص من نصوص القرآن الكريم.

العمل الخيري وتطهير النفس.

ارتبط التطهير بالصدقة في القرآن الكريم ارتباطا وظيفيا بشكل صريح، مما يدل علىٰ أنه من صميم المقاصد الكبرىٰ لفعل الخير وبذله وتقديمه.

من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة:١٢]، فقد وصف تقديم

الصدقة بصفتين عظيمتين؛ الأولىٰ أنه خير، والثانية أنه أطهر.

فقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، لما في الصدقة من تعظيم لله تعالىٰ والحرص علىٰ التقرب إليه سبحانه، ولما فيها من تعظيم رسول الله ﷺ وتقدير محادثته، إضافة إلىٰ ما تتضمنه من النفع العميم للفقراء والمساكين. وكل ذلك يستتبع أجرا عظيما وثوابا جزيلا وفضلا كبيرا. قال ابن عجيبة: "وفي هذا الأمر تعظيم الرسول ﷺ، وانتفاع الفقراء، والزجر عن الإفراط في مناجاته وسؤاله عليه الصلاة والسلام، والتمييز بين المخلِص والمنافق، وبين مُحب الآخرة ومُحب الدنيا"[1].

وقال الرازي: "و(خير) يجوز أن يكون اسم تفضيل، أصله: أَخْير وهو المزاوج لقوله: (وأطهر)، أي ذلك أشد خيرية لكم من أن تناجوا الرسول ﷺ دون تقديم صدقة، وإن كان في كلّ خير. كقوله: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١]. ويجوز أن يكون اسمًا علىٰ وزن فَعْل وهو مقابل الشَّر، أي تقديم الصدقة قبل النجوىٰ فيه خير لكم وهو تحصيل رضىٰ الله تعالىٰ في حين إقبالهم علىٰ رسوله ﷺ، فيحصل من الانتفاع بالمناجاة ما لا يحصل مثله دون تقديم الصدقة.[2]

أما قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطْهَرُ﴾، فلا يخفىٰ أن ما نص عليه من التطهير هنا هو من الخير العميم الذي يكرم الله به عباده المتصدقين. وقد أضمر ما يقع عليه التطهير لاتساع دائرته.

ففي الصدقة طهارة للنفس من الشح وحب المال، وفيها براءة من الأنانية

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج٧ ص٣٤٦

(٢) مفاتيح الغيب ج٢٩ ص٤٩٥

المقيتة، كما ورد في قوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦]

كما أن فيها تطهرا من الآثام والذنوب، كما خرجه الترمذي في جامعه وحسنه من حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «**والصَّدَقَةُ تُطفئُ الخَطيئَةَ كَمَا يُطفئُ الماءُ النَّارَ**»

وعلىٰ ذلك دارت كلمات المفسرين. قال الطبري: "وتقديمكم الصدقة أمام نجواكم رسول الله ﷺ، خير لكم عند الله وأطْهَرُ لقلوبكم من المآثم."[(١)]، وفي محاسن التأويل: "أي لأنفسكم من رذيلة البخل والشح ومن حب المال وإيثاره الذي قد يكون من شعار المنافقين وكأن الأمر بالتصديق المذكور نزل ليتميز المؤمن من المنافق فإن المؤمن تسخو نفسه بالإنفاق كيفما كان، والثاني يغص به ولو في أضر الأوقات."[(٢)]، وقال ابن عاشور: "وأما (أطهر) فهو اسم تفضيل لا محالة، أي أطْهر لكم بمعنىٰ: أشد طهراً، والطهر هنا معنوي، وهو طهر النفس وزكاؤها، لأن المتصدق تتوجه إليه أنوار ربانية من رضىٰ الله عنه فتكون نفسه زكية."[(٣)]

ومثل الآية السابقة مما ورد فيها الارتباط الوثيق بين الصدقة والطهارة قوله سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٣]. فإنه من الواضح أن ما تقع عليه هذه الأفعال العظيمة

(١) جامع البيان ج٢٣ ص٢٤٧

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ج٩ص١٤٧

(٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ج٢٨ص٤٥

هو المتصدق الباذل الفاعل للخير.

۞ العمل الخيري واقتحام العقبة:

من بليغ وفريد ما تحدث عنه القرآن الكريم من مقاصد العمل الخيري الرباني علىٰ مستوىٰ الفرد ما نبه عليه من اقتحام العقبة. قال الله جل جلاله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد:١١-٢٠]. فاقتحام العقبة بغية المؤمن وقضيته الكبرىٰ ومقصده الأعظم، وإلا فالمشأمة والنار الموصدة.

ولا يخفىٰ أن في العقبة لغة معاني الشدة والصعوبة والعلو، قال ابن منظور: "وَالْعَقَبَةُ: وَاحِدَةُ عَقَبَات الْجِبَالِ. وَالْعَقَبَةُ: طَرِيقٌ فِي الْجَبَلِ وَعْرٌ، وَالْجَمْعُ عَقَبٌ وَعِقَابٌ. وَالْعَقَبَةُ: الْجَبَلُ الطَّوِيلُ، يَعْرِضُ لِلطَّرِيقِ فَيَأْخُذُ فِيهِ، وَهُوَ طَوِيلٌ صَعْبٌ شَدِيدٌ."(١)

وقد تعددت أقوال المفسرين في المراد بالعقبة في الآية الكريمة.

لخص ذلك ابن العربي رحمه الله قائلا: "الْعَقَبَةُ: فِيهَا خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهَا طَرِيقُ النَّجَاةِ؛ قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

الثَّانِي جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ؛ قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ.

الثَّالِثُ: عَقَبَةٌ فِي جَهَنَّمَ هِيَ سَبْعُونَ دَرَجَةً، قَالَهُ كَعْبٌ. الرَّابِعُ أَنَّهَا نَارٌ دُونَ

(١) لسان العرب مادة (عقب)

الْحَشْرِ. الْخَامِسُ: أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ وَعَدُوَّهُ الشَّيْطَانَ؛ قَالَهُ الْحَسَنُ: عَقَبَةٌ وَاَللهِ شَدِيدَةٌ."[1]

ولا ريب أن اقتحام العقبة في الدنيا هو الذي يؤهل لاقتحام كل عقبات الآخرة الحائلة بين العبد ورضىٰ ربه ورضوانه سبحانه. فلذلك كان ما يحول بين العباد وطاعة الله تعالىٰ والانقياد لمراده سبحانه هو العقبة الكأداء والمانع الوعر بين الارتقاء إلىٰ الكون مع أصحاب الميمنة.

قال البغوي: "وذكر العقبة ها هنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوىٰ والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة."[2]،

وقال ابن عطية: "في هذه الآية علىٰ عرف كلام العرب، استعارة لهذا العمل الشاق علىٰ النفس من حيث هو بذل مال تشبيه بعقبة الجبل، وهي ما صعب منه وكان صعوداً، و(اقتحم) معناه: دخلها وجاوزها بسرعة وضغط وشدة."[3]

هذا وقد أعلىٰ الله تعالىٰ من شأن العمل الخيري؛ إذ جعل عُدّة المؤمن في اقتحام العقبة والتغلب علىٰ الموانع الشديدة التي تحول بين العباد وربهم سبحانه. فلخصت الآيات ذلك في قوله سبحانه: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١٣-١٧]

(١) أحكام القرآن ج٤ص٤٠٠

(٢) معالم التنزيل ج٥ص٢٥٦

(٣) المحرر الوجيز ج٥ص٤٨٥

○وهذه الأعمال عظيمة من جهات عدة:

أولها: أن فضلها وخيرها يتعدىٰ فاعل الخير إلىٰ غيره من الخلق.

ثانيها: أنه تفريج للكربات وإنقاذ للمضطرين وإغاثة للملهوفين. ففك الرقبة تحرير لها من أسر العبودية وثقل المذلة، "وَالْفَكُّ هُوَ حَلُّ الْقَيْدِ، وَالرِّقُّ قَيْدٌ، وَسُمِّيَ الْمَرْقُوقُ رَقَبَةً لِأَنَّهُ كَالْأَسِيرِ الَّذِي يُرْبَطُ بِالْقَيْدِ فِي عُنُقِهِ."(١).

أما الإطعام فقد وقع حال المجاعة والشدة مما عظَّم أمره ورفع قدره، "وَهُوَ مَعَ السَّغَبِ الَّذِي هُوَ الْجُوعُ أَفْضَلُ من إطْعَامِهِ لِمُجَرَّدِ الْحَاجَةِ، أَوْ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ الشَّهْوَةِ."(٢).

وكذلك كفالة اليتيم القريب، مما يعلي من شأن هذه الكفالة ويحقق لها معاني الحنو والرحمة والعطف والصلة.

ثالثها: تجاوز فعل الخير إلىٰ الحث عليه والدعوة إليه والصبر علىٰ مشاقه وتبعاته، ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١٧].

فهذا المقصد العظيم لا يتحقق إلا باقتحام العمل الخيري في أحلك الظروف وأشدها حيث المسغبة والمتربة(٣) واليتم. ولا يقف الأمر هاهنا وإنما يتجاوزه إلىٰ الحث علىٰ ذلك والتواصي عليه والدعوة إلىٰ إنشاء مؤسساته ومراكزه وهيآته...

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج٤ص٤١

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج٤ص٤٠٢

(٣) قال ابن العربي في بيان الآية: "وَالْمَتْرَبَةُ: الْفَقْرُ الْبَالِغُ الَّذِي لَا يَجِدُ صَاحِبُهُ طَعَامًا إلَّا التُّرَابَ وَلَا فِرَاشًا سِوَاه" أحكام القرآن ج٤ص٤٠٢

قال المراغي -رحمه الله- ملخصا المراد من الآيات الكريمة: "أي: فهلا جاهد النفس والشيطان وعمل أعمال البر، وقد ضرب الله العقبة مثلا لهذا الجهاد، لأن الإنسان يريد أن يرقىٰ من عالم الحس عالم الأشباح إلىٰ عالم الأنوار والأرواح، وبينه وبين ذلك عقبات من ورائها عقبات، وسبيل الوصول إلىٰ غايته هذه هي فعل الخيرات."[1]

۞ العمل الخيري والفوز في الآخرة.

هذا مقصد المقاصد وغاية الغايات وثمرة ما ذكر من قبل. لذلك كثر النص عليه في كتاب الله تعالىٰ، إذ المؤمن العامل للخير المقدم له الباذل لما آتاه الله تعالىٰ في نفع غيره، لا يقْدم علىٰ ذلك كله إلا ابتغاء مرضاة الله تعالىٰ ورجاء رضوانه جل جلاله. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزَّمل:٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]،

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧].

ومن جميل بيان النبي ﷺ لهذا الأجر وذلكم الفلاح، ما خرجه الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ**

(١) تفسير المراغي ج٣٠ص١٦٢

الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...»[1]

وإمعانا في تجريد العمل الخيري من كل غرض دنيوي حكىٰ الله تعالىٰ واقع عباده المخلصين المقبلين علىٰ الرحمة بالخلق تعظيما للخالق سبحانه وطمعا فيما عنده وفيما عنده فقط. فقال سبحانه: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:٦-١١]

اتضح، إذن، أن للمقاصد الخاصة الفردية عمقا نفسيا وتربويا بليغا، إذ يبدأ تأثير العمل الخيري المبارك في النفس تطهيرا وتزكية، وتستمر بركات ذلكم التطهير وتلكم التزكية فترقىٰ بالعبد المجتهد في إغاثة الملهوف فتؤهله لاقتحام العقبة، ومن هنالك إلىٰ الفوز بالسعادة والرضوان.

(١) خرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر.

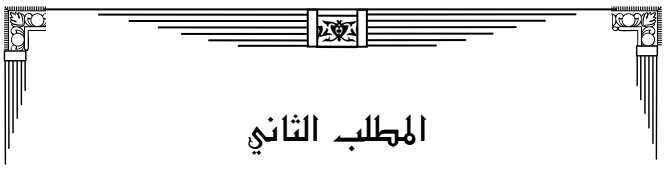

المطلب الثاني

المقاصد العامة

البعد الفردي في العمل الخيري جلي وعظيم، لكن عند النظر العميق في نصوص الخير وفعله في القرآن الكريم ندرك أن البعد الجماعي أجلىٰ وأعظم. فالمقاصد الكامنة خلف الدعوة إلىٰ فعل الخير والانخراط في العمل الخيري، رحمة بالخلق وتقربا إلىٰ الخالق جل جلاله، هي بحق من أَجَلِّ المقاصد المحددة لموقع الأمة التي اصطفاها الله تعالىٰ لتكون شاهدة علىٰ الناس كل الناس.

❁ وذلك ما تنبه عليه الفقرات الآتية:

○ أمة العمل الخيري والشهادة على الخلق.

العمل الخيري لا يطالب به الفرد المؤمن فحسب وإنما هو مراد الله تعالىٰ من المؤمنين أفرادا وأمة، فلذلك جاءت الآيات البينات بصيغ الجمع.

فحرص المؤمنين علىٰ إقامة صلاة الجماعة وعلىٰ تنظيم أمر الزكاة لا يختلف عن حرصهم علىٰ إقامة صرح فعل الخيرات، فهذه كلها من مظاهر العبادة التي أمر الله تعالىٰ بها. فلننظر كيف انتظمت هذه الجواهر في عقد واحد ونسق بديع؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٣]،

وقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ

كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠]

بل من خصائص الأمة الخيرة الدعوةُ إلىٰ الخير والحضُّ عليه والتواصي به. ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤]

لذلك ورود الأمر صريحا قاصدا إلىٰ انخراط الذين آمنوا دونما تردد ولا تخلف في العمل الخيري المبارك في آية الحج التي تعد بحق الأصل الأصيل في المسألة. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج:٧٧-٧٨]

ففي الآيات الكريمة الأمر بعظائم الأمور التي تعد بلا ريب الأسس المؤهلة للسيادة والشهادة علىٰ الخلق، **أولها**: الصلاة وإقامتها في الجماعة إظهارا لكلمة الله وإعلاء لمشاعر الإسلام؛ **ثانيها**: الانقياد لمراد الله تعالىٰ في كل وقت وحين؛ وثالثها: الاجتهاد في طاعة الله عموما والسعي الدؤوب في خدمة الخلق والرحمة به؛ أما رابعها: فهو بذل الجهد مع سائر الناس لإخراجهم من عبادة غير الله إلىٰ عبادته سبحانه بلا شريك، وعلىٰ هذه المعاني دارت كلمات المفسرين.

قال الفخر الرازي: "قوله تعالىٰ: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يريد به صلة الرحم ومكارم الأخلاق. والوجه عندي في هذا الترتيب أن الصلاة نوع من أنواع العبادة والعبادة نوع من أنواع فعل الخير، لأن فعل الخير ينقسم إلىٰ خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لأمر الله، وإلىٰ الإحسان الذي هو عبارة عن الشفقة علىٰ خلق الله. ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة علىٰ الفقراء وحسن القول للناس؛ فكأنه سبحانه قال كلفتكم بالصلاة بل كلفتكم

بما هو أعم منها وهو العبادة بل كلفتكم بما هو أعم من العبادة وهو فعل الخيرات."[1]

ونبه الثعلبي علىٰ البعد الخير في الآية قائلا: "وهذه الآية الكريمة عَامَّةٌ في أنواع الخيرات، ومن أعظمها الرأفةُ والشفقة علىٰ خَلْقِ اللّه، ومُوَاساةُ الفقراء وأهلِ الحاجة، وقد روىٰ أبو داود والترمذيُّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمـًا ثَوْبـًا عَلَىٰ عُرْيٍ، كَسَاهُ اللّهُ مِنْ خُضْرِ الجَنَّة، وأَيُّما مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِمـًا عَلَىٰ جُوعٍ، أَطْعَمَهُ اللّهُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، وأَيُّمَا مُسْلِمٍ سقىٰ مُسْلِمـًا عَلَىٰ ظَمَإٍ، سَقَاهُ اللّهُ مِنْ الرَّحِيقِ المَخْتُوم**»[2] انتهىٰ.

وروىٰ علي بن عبد العزيز البغوي في المسند المنتخب عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمـًا ثَوْبـًا، كَانَ فِي حِفْظِ اللّهِ مَا بَقِيَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ رُقْعَة**» وروىٰ ابن أبي شيبة في مسنده عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «**أَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ ظَلَّ فِيهُمُ امرؤ جَائِعـًا، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللّهِ**» انتهىٰ[3]

واستحضر الطاهر بن عاشور رحمه الله في بيان الآية ما في الزكاة من الخير للناس، فقال: "(وافعلوا الخير)، أمر بإسداء الخير إلىٰ الناس من الزكاة، وحسن المعاملة كصلة الرّحِم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسائر مكارم الأخلاق، وهذا مجمل بينته وبينت مراتبه أدلة أخرىٰ."[4]. وكأنه رحمه الله ذكر قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟

(١) مفاتيح الغيب ج٢٣ص٢٥٤

(٢) سنن أبي داود كِتَاب الزَّكَاةِ بَاب فِي فَضْلِ سَقْيِ الْمَاءِ

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج١ص٥٢٥

(٤) التحرير والتنوير ج١٧ص٣٤٦

بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١].

ولا شك أن في الزكاة خيرا عميما للمسلمين خاصة ولإعلاء كلمة الله تعالىٰ، لكن فعل الخير المأمور به هو أعم من ذلك وأرحب لما فيه من الفيض بالبركات والرحمات علىٰ سائر الخلق.

وهكذا سنة الله تعالىٰ في خلقه، فالسبيل إلىٰ السيادة في الدنيا والشهادة في الآخرة قوامه تعظيم الله جلاله وعبادته والرحمة بالخلق فعلا للخير ودعوة إليه، وفي غياب ذلك يتصدىٰ لهذا من يتخذ العمل الخيري سبيلا لخدمة العقائد الفاسدة والممارسات المنحرفة والسياسات المغرضة.

۞ الرقي بالواقع النفسي والتربوي للمجتمع:

هذا من أجل مقاصد العمل الخيري المبارك، لما يحدثه من الآثار الطيبة في نفوس الناس عامة، ولما يثمره من الرقي بالأخلاق الخاصة والعامة.

فقد نص كتاب الله تعالىٰ علىٰ وظيفتي التطهير والتزكية في سياق الأمر بالصدقات، قائلا سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٣]. فعلا فالعمل الخيري يطهر قلوب المؤمنين من الشح والأنانية، ويمرنهم علىٰ البذل والعطاء والتفاني في إدخال السرور علىٰ الغير، كما يطهر قلوب المحتاجين من البغض والحقد والسخط علىٰ الأغنياء وعلىٰ مجتمعاتهم، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه يزكي حياتهم بالبركات والمحابّ والتراحم والتعاطف... وكلما جد الناس في فعل الخير واتسعت دائرة التنافس في البر والإحسان، تطهر المجتمع من الفقر والحاجة، وساد الخير الجميع، وأضحىٰ الكل كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ.

هذا وإن الأمر بفعل الخير علىٰ صيغة الجمع فيه توجيه بليغ إلىٰ ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون كلهم من القدرة علىٰ العطاء والنفع. ففي الصحيحين عن حكيم بن حزامٍ -رضي الله عنه- عن النّبيّ ﷺ قال: «**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ**».(١)

من هنا نشأ الصحابة -رضي الله عنهم- علىٰ العفة، ومرنوا أنفسهم علىٰ عدم السؤال. قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٧٣].

وفي صحيح مسلم عن عَوْف بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**»، وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**»، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**»، قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا، وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «**عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَتُطِيعُوا، وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً، وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**». فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ، يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ.(٢)

(١) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب لا صدقة إلا عن ظهر غنىٰ. صحيح مسلم كِتَاب الزَّكَاةِ بَاب بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ...

(٢) صحيح مسلم كِتَاب الزَّكَاةِ بَاب كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ

۞ خلاصة القول في المقاصد:

هذه مقاصد فعل الخير والعمل الخيري كما تتبين من القرآن الكريم، إنه النفع الخاص والعام، إنه النفع العاجل والآجل، إنه الرحمة التي تعمر الوجدان وتفيض علىٰ سائر الخلق بالإحسان والرحمة، إنه العمل المبارك الذي يرقىٰ بصاحبه إلىٰ رضا الله ورضوانه سبحانه من خلال العطف والرحمة بسائر الخلق.

۞ الخاتمـــــة:

الواقع أن هذا العمل هو مقدمة الجهد العلمي المنهجي الأصيل الكفيل بالكشف المطلوب عن الخير في القرآن الكريم وما ارتبط به مفهوما وصفات وعلاقات وقضايا، وقد كانت المباحث الثلاثة منصبة علىٰ إبراز جملة من النتائج النفيسة نجملها فيما يلي:

الأولىٰ: ورود مصطلح الخير في القرآن الكريم بحجم كبير (١٨٠ مرة) بمختلف الصيغ والدلالات، يشي بالأهمية الكبيرة التي حظي بها من قبل القرآن الكريم، ويوجه إلىٰ ضرورة الاهتمام به وإيلائه نفس المنزلة.

الثانية: لم تخل مرحلة من مراحل التنزل من ذكر الخير والدعوة إليه مما يوجه إلىٰ الحاجة الماسة إليه في كل المراحل وفي مختلف الظروف.

الثالثة: من بليغ الملاحظات المنهجية التدرج العجيب في مفهوم الخير في القرآن الكريم، فقد بدأ القرآن بالمفهوم المعلوم لدىٰ الناس ألا وهو ارتباط الخير بالمال، ثم ارتقىٰ بهم إلىٰ مفهوم أسمىٰ وأنقىٰ وأشمل، ليستقر المفهوم في الدين كله، وهكذا انتقل بهم من المادة والمصالح المحسوسة إلىٰ منازل السمو الروحي والتربوي.

الرابعة: خلصت الدراسة إلىٰ تعريف الخير لغة بالنص علىٰ أنه: ما تميل إليه النفس وتختاره الطباع لما فيه من المنافع العاجلة أو الآجلة، أما في الاصطلاح القرآني، فإنه يرد وفق مفهومين اثنين: الأول: المال وما ارتبط به من اليسر والغنىٰ والسعة. الثاني: الإسلام وما دعا إليه من الإيمان والعمل الصالح. وبناء علىٰ ذلك فإن فعل الخير والعمل الخيري في القرآن الكريم يطلق علىٰ أمرين رئيسين:

الأول: بذل المال وإنفاقه لتحقيق اليسر والسعة والغنىٰ والحد من الفقر والحاجة، وهو ما يعرف بالعمل الاجتماعي.

الثاني: الدعوة إلىٰ الإسلام والإيمان وما شرعه الله تعالىٰ من العمل الصالح لما في ذلك من الرحمة بالعالمين في الدنيا والآخرة.

الخامسة: وهي من ثمرات البحث الهادية للعمل الخيري، تمثلت في مقاصده وفق مجالين، الخاص والعام. فالمقاصد الخاصة ما تعلق منها بالفرد تطهيرا له وتأهيلا لاقتحام العقبة والفوز بنعيم الآخرة، أما المقاصد العامة فتمثلت في الرقي بالمجتمع نفسيا وتربويا وتخريج الأمة الشاهدة علىٰ الناس بالحق.

وهذه النتائج، رغم أهميتها، ليست سوىٰ تمهيد لدراسة وافية شاملة من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مؤصلة للعمل الخيري المبارك المجسد لرحمة الله للعالمين التي بعث بها محمد ﷺ، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

يسر الله إنجازها والانتفاع بها، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

- أحكام القرآن لابن الفرس الأندلسي، تحقيق صلاح بوعفيف، دار ابن حزم، الطبعة الأولىٰ ١٤٦٧ه٢٠٠٦م.

– إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل بيروت، ١٩٧٣م.

- برنامج الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم الذي أعدته مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) بفاس.

- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولىٰ، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابىٰ الحلبي وشركائه.

– البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، ١٣٩١ هـ ١٩٧٢م.

- التحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ

- التحقيق في كلمات القرآن، حسن المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي

- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت الطبعة: الأولىٰ ١٤١٦هـ.

- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفىٰ المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابىٰ الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولىٰ، ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م

- تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤١٩هـ.

- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث بيروت الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٣هـ.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة: الأولىٰ ١٤١٨هـ

- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، المحقق محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

- سنن الترمذي/ محمد بن عيسىٰ الترمذي، المحقق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق مصطفىٰ ديب البغا، دار ابن كثير بيروت، الطبعة ٣. ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي بيروت.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله الناشر: دار الكتاب العربي بيروت الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

- لسان العرب، ابن منظور، إنتاج: المستقبل للنشر الإلكتروني. بيروت، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، الإصدار ١، ١٩٩٥م.

- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر دار الكتب العلميه بيروت الطبعة: الأولىٰ ١٤١٨هـ

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢ هـ

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي،

تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية، تاريخ النشر ١٤٢٧هـ.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبدالرزاق المهدي، الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ. ١٩٨١م

- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مَرْعشلي، دار الفكر.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل. بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١١ هـ ١٩٩١م.

- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ

- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤١١هـ ١٩٩١م.

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.